عراقيون
من زمن التوهج
12
العدد (1398) السنة السادسة السبت (27) كانون الاول 2008
ملحق شهري يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

بدر شاكر السياب ذكريات الشعر والألم

في نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات من القرن العشرين بدأ اسم الشاعر بدر شاكر السّياب يتردد في المحافل الأدبية والفنية في بغداد. وشاءت الصدف أن نعمل معا في النهار بمديرية الأموال المستوردة ومساءً في جريدة الشعب ومجلة الأسبوع. وفي عام ١٩٥٧ وعلى أثر عودته من لبنان أجريت معه حواراً نشر في مجلة الأسبوع قبل أن يعين سكرتيراً لها ببضعة أشهر جاء فيه: إذا قدر لك أن تلتقي الشاعر بدر شاكر السياب دون أن تعرفه من قبل، فستحسبه كاتباً بسيطاً في إحدى الدوائر، أو معلماً خاب أمله في الترقية منذ زمن بعيد. جسم نحيل هزيل، بسيط في ملبسه، يسير بصورة مستعجلة متأبطا كتابه. اكثر قراءاته بالإنجليزية. يكره الزيف والادعاء والعظمة.

عبد الوهاب الشيخلي

وبعد أن التقطت له بعض الصور بالكاميرا التي كنت أحملها معي دائما لأغراض صحفية سألته عن المهمة التي ذهب من أجلها إلى لبنان والأهداف التي حققها هناك فأجاب: اعتادت مجلة (شعر) اللبنانية تقديم أمسية شعرية مساء كل خميس يحضرها شعراء لبنانيون - وقد شاءت هذه المرة أن يشارك فيها شاعر من العراق فوقع الاختيار عليّ فذهبت وألقيت شيئًا من أشعاري. وفي تلك الجلسة قررت الجامعة الأمريكية (قسم اللغة العربية) الاعتراف بالشعر الحر و إدخاله في مناهج الدراسة للسنوات المقبلة. وقد استغرق إلقاء الشعر من قبلي ساعة من الزمن إلا أن الجمهور طالب المزيد فألقيت قصيدة أخرى. لكنهم لم يكتفوا بذلك وطلب أحدهم قصيدة (المومس العمياء) ولما أخبرتهم أن هذه القصيدة تستغرق ساعة من الزمن أجابوا جميعًا أنهم مستعدون لذلك! وهنا سألت الشاعر السّياب - هل كنت تكتفي بإلقاء القصائد دون شرحها؟ فأجاب: كنت أشرح لهم الجو العام للقصيدة، وهذه طريقة جديدة لتذوق الشعر الحر وتقريبه إلى أذهان الجماهير. وهل خرج أحدهم برأي جديد خلال تلك الجلسة؟ - نعم. لقد صرح جورج صيدح الشاعر المهجري الكبير برأي جديد حيث صار يعتقد بوجود شعر جيد بغض النظر عن أسلوبه في التعبير.

الشعراء في مرآته

سألت السّياب عن رأيه في بعض الشعراء الذين يزاولون نظم الشعر الحر في لبنان فأجاب قائلا: هناك يوسف الخال وخليل حاوي والشاعر السوري (أدونيس) - ما النتائج التي توصلت إليها من خلال اشتراكك في تلك الأمسية؟ لقد ثبت لي أن الشعر العراقي الحر متقدم على الشعر الحر في الوطن العربي من حيث الكمية والجودة. وبعد أن انتهينا من الأسئلة والأجوبة الخاصة بسفره إلى لبنان، سألته عن رأيه بديوان (قرارة الموجة) للشاعرة نازك الملائكة فقال بعد أن أشعل سيجارة جديدة: نازك الملائكة أكبر من ديوانها!! ثم أردف قائلاً: لاحظت أن الشاعرة نازك الملائكة لم تدخل بعض قصائدها التي نشرت في الصحف والمجلات، في ذلك الديوان، مثل: النهر العاشر وشجرة القمر وسواهما. ومع ذلك فأنا أعتقد بأن القارئ لن يفهم بعض القصائد في ديوانها الأخير إلا بعد القراءة الثانية أو الثالثة! وهنا سألته عن أنواع الشعر المتداول في الوطن العربي فقال: هناك شعر تعجب به أول وهله ويزداد إعجابك به على مر الزمن. وهذا هو أرفع أنواع الشعر وهو نادر الوجود. والنوع الثاني من الشعر هو الذي لا يعجبك للمرة الأولى ولكنك تعجب به عندما تقرأه في المرة الثانية أو الثالثة.. وشعر نازك الملائكة من هذا النوع، وهو الشعر المتوسط الجودة. وأردف قائلاً: وهناك نوع آخر من الشعر الذي يبهرك عند قراءته أول مرة ثم يفقد بريقه وقيمته بمرور الزمن. وهذا هو الشعر المزوق البراق الفارغ الذي لا معنى له.. وبناء على طلب مني راح يستعرض بعض الشعراء المعروفين فقال عن عبد الوهاب البياتي: بعد أن قرأت ديوانه الأخير (المجد للأطفال والزيتون) وجدته يميل إلى التكرار ويلاحظ أن الكثير من قصائده عبارة عن شعارات سياسية تصلح مقالات افتتاحية للجرائد اليومية. ووجدت في عدد من قصائد الشاعر بلند الحيدري ما أثار في الرغبة لإعادة قراءتها. أما سعدي يوسف فيعجبني منه الطابع الريفي في شعره وأتوقع له الكثير من النجاح. أما الشاعر موسى النقدي فإنني أتوقع له بعد شيء من التوجيه أن يكون في طليعة الشعراء في العراق. وقال السّياب عن الشاعر العظيم أحمد شوقي إنه أحيا الديباجة العربية المشرقة. ووضع الشاعر محمد مهدي الجواهري في مرتبة المتنبي وأبي تمام. واتهم بدر شاكر السّياب الشاعر كاظم جواد بالهياج والتقليد فما كان من هذا الشاعر إلا الرد عليه بقسوة واتهمه بالعمالة والتذبذب فرد عليه السّياب رداً مناسباً ورسمه بأسلوب كاريكاتوري وأجاد في رسمه . وبعد سنوات من رحيل السّياب حظي بمكانة مرموقة في ميدان الشعر الحر. ووضعت عنه دراسات وكتب عديدة في كثير من أرجاء الوطن العربي ولكن تلك الدراسات لم تتمكن من الوصول إلى الحقيقة التي تقول إنه كان أول من كتب في الشعر الحر وأنه كان من اكتشافه. وهو شخصياً وفي حديث عن تجربته فشل في إثبات أنه المكتشف الأول للشعر الحر في الوطن العربي. وقد توفي بدر شاكر السّياب في المستشفى الأميري بالكويت وكان فقيراً معدماً في سنواته الأخيرة. كما كان فاشلاً في حبه دائماً وأبداً. وفي عام ١٩٥٨ عين مسؤولاً عن مجلة الأسبوع التابعة لجريدة الشعب لصاحبها يحيى قاسم فصار يفحص ما نكتبه أسبوعياً بأسلوب رقيق حتى أنه لم يكن يعطينا أي ملاحظات سواء في اختيار المواضيع الصحفية أو الأسلوب الذي نتبعه في الكتابة.

تجربة السّياب الشعرية

كان السّياب يحمل كتاباً باللغة الإنجليزية للشاعر (ت. س. اليوت) فقلت له: ما هذا؟ فقال: هذا الكتاب يعود لشاعر عظيم تعلمنا منه الكثير في مجال الشعر الحر وقد حاول بعض الشعراء العرب تقليده ففشلوا لضعف في اللغة العربية أو الإنجليزية. وهنا طلبت من الشاعر بدر السّياب أن يتحدث عن تجربته الشعرية فقال: كان الحافز الأول لكتابة الشعر الحر بعد أن قرأت الشعر في اللغة الإنجليزية فلاحظت تعدد التفعيلات في أبيات الشعر وعدم انقطاع المعاني من بيت لآخر كما هو الحال في القصيدة العربية. فبدأت الكتابة وفق نسق جديد من التفعيلات مع أجواء وأفكار جديدة تنسجم مع روح العصر. وأضاف السّياب قائلاً: وللحقيقة والتاريخ لاحظت أيضاً أن الموشحات الأندلسية تتسم بطابع خاص تجد في بعضه ملامح الشعر الحر. وفي عام ١٩٤٠ وفي مجلة الرسالة المصرية قرأت للشاعر خليل شيبوب قصيدة عنوانها (القصر والحديقة المهجورة) وكانت في معانيها وألفاظها وتفعيلاتها قريبة من الشعر الحر. وفي عام ١٩٤٧ وفي قصيدة (روميو وجولييت) للشاعر علي أحمد باكثير تجد هذا اللون من الشعر بشكل ملحوظ. وكنت قد كتبت في الشعر الحر عام ١٩٤٦ قصيدة عنوانها (هل كان حبًا) وألقيتها أمام طلاب دار المعلمين العالية ببغداد فلاقت استحسانًا كبيرًا وكان عبد الوهاب البياتي وشاذل طاقة بين الحاضرين أما قصيدة (الكوليرا) للشاعرة نازك الملائكة فكانت أقرب ما تكون إلى الموشح. ولكنها أصدرت عام ١٩٤٨ ديوان (عاشقة الليل) وفيه عدد لا يستهان به من الشعر الحر مع شرح وتحليل، أما أنا فقد أصدرت ديوان (أساطير) عام ١٩٥٠ وقد تضمن عددًا من القصائد التي نشرتها في مجلتي البيان والعقيدة عام ١٩٤٨. وأعود فأكرر أنه كان لقراءتي للشعر الإنجليزي الأثر الكبير في التوجه نحو الشعر الحر.

وكان السّياب قد بدأ العمل في الصحافة مترجمًا باعتباره يجيد اللغتين الانجليزية والعربية. وقبل غلق مجلة الأسبوع بسنة تقريباً عين سكرتيراً لها. ومن هنا بدأ يكتب القصص القصيرة وكان بعضها يدور حول أشخاص التقى بهم في قرية جيكور أو البصرة. ولم أقرأ حتى يومنا هذا من تناول هذه القصص بالنقد أو الدراسة وفيما إذا كان السّياب يمكن أن يكون قصصيًا بمستوى تشيخوف الروسي أو موبا سان الفرنسي. ولا أستطيع الادعاء بأنني أتمكن من تقييم تلك القصص القصيرة. أما شعره فقد انتشر في أنحاء الوطن العربي وأصبح السّياب من الأسماء المعروفة وكان النقاد إلى جانبه دائماً.. ومع ذلك فإن أحد العلماء الراحلين وعضو المجامع العلمية في العراق وبعض أقطار الوطن العربي أجاب عن سؤال وجهته له في لقاء إذاعي عن رأيه بالشعر الحر وبدر شاكر السّياب فكانت إجابته وهو الشاعر التقليدي المحب للشاعر أحمد شوقي: إن الشعر الحر مؤامرة كبيرة على الشعر العمودي واللغة العربية!

في مجتمع بغداد

لم يكن الشاعر بدر شاكر السّياب يشكو المرض خلال السنوات التي عرفته فيها حتى ١٩٥٨، ولكنه كان يبدو نحيلاً شاحباً.. ومع ذلك فهو سريع الخطى، وكنت أحس أنه يعاني هشاشة في العظام. وكان للسياب من يشتمه ويقلل من قيمة ما يكتب من شعر.. وربما كان الشاعر كاظم جواد من ألد أعدائه وقد سمعته وهو يسبه ويشتمه مدعياً أنه تسبب في فصله من الوظيفة.

كان السّياب من رواد المقاهي البغدادية حيث يجتمع مع بعض الشعراء والأدباء.. وحدث ذات مرة أنه كان يكتب قصيدة جديدة فاقترب منه شاعر مغمور ومد عنقه متطفلاً وأشار عليه أن يستبدل كلمة بأخرى فنظر إليه بدر باستغراب وقام من محله وجلس في مكان بعيد دون أن يفوه بكلمة واحدة!

كان لقصيدة المومس العمياء وهي قصيدة طويلة تستغرق قراءتها ساعة كاملة أثرها العميق في نفوس القراء.. وكنت أعتقد أنها من بنات أفكاره وليس لها وجود إلا في مخيلته إلا أن الصحفي قاسم السماوي وهو من أصدقاء السّياب أكد لي أن هذه الشخصية موجودة في بغداد وقد شاهداها معاً وهي التي أوحت له بتلك القصيدة الرائعة والتي طلبها الجمهور اللبناني واضطر السّياب إلى قراءتها كما أشرنا في الحوار الذي أجريناه معه.. ويبدو لي من خلال معرفتي بالشاعر بدر أنه يميل إلى الصراحة أحياناً بدليل أنه كان يقول عن الشاعر محمود البريكان وهو من مدينة البصرة أيضاً: إنه شاعر أصيل ومقتدر وكان من الممكن أن يكون شاعراً كبيراً لولا انزواؤه في البيت وعدم مزاولته الشعر إلا في حالات نادرة، وهو خيرٌ منا جميعاً.

×××××

حاول بعض الملحنين تلحين بعض قصائد السّياب .. وكنت أتمنى لو أن ملحناً كبيراً كالموسيقار محمد عبد الوهاب أو بمستواه الفني قد أخذ بعض تلك القصائد بدلاً من الملحنين والمطربين الذين يفتقرون إلى الموهبة وأبسط قواعد الإبداع، لكان نصيب تلك القصائد مزيداً من الانتشار في جميع أنحاء الوطن العربي. كان السّياب ، قبل زواجه ينتقل من فشل إلى آخر في ميدان الحب.. وقد تبين له بعد حين أن كل من تعرف عليها كانت تأمل أن تجد نفسها في إحدى قصائده المتداولة بين الناس وخاصة في دار المعلمين العالية وبعض المجالس الأدبية. حتى تمنى أن يكون أحد الدواوين التي نشرها.

لم يكن الشاعر بدر شاكر السّياب يعتني بهندامه. ولضيق ذات يده، شكا ذات يوم أمامنا قائلاً: إلى متى نبقى على هذه الحال؟ ثم اقترح علينا مشروعاً قد يدر علينا بعض المال. وكنا أربعة من المحررين، ولكننا وبعد أقل من شهر نبذنا تلك الفكرة وذلك المشروع لأسباب تتعلق بشخصية الإنسان النزيه الذي ينزع إلى النجاح والعيش بطرق مشروعة.. وقد لاحظت من خلال عملي معه أنه يميل أحياناً إلى الاعتداء على الآخرين والإيقاع بهم. كما أنه لم يكن مستقراً في موقفه السياسي فقد انتقل من اليسار إلى اليمين وأخذ يطعن بزملائه القدامى من الحزبيين على صفحات الصحف اليومية باسمه الصريح وكشف عن أسرارهم الحزبية بأسلوب جعله في موضع نقد كبير من معارفه وأصدقائه.

وكان آخر لقاء لي معه في بغداد في منطقة الأعظمية (ساحة عنتر) وبعد أن تبادلنا التحية نصحني ألا أنتمي لأي حزب من الأحزاب، قال ذلك بلهجة عراقية بغدادية!! واكتفيت بالصمت وعدم الرد عليه.×××××

كنت أتمشى ذات يوم في بغداد (شارع الرشيد) مع الشاعر عبد الوهاب البياتي في الخمسينيات من القرن العشرين. وقرب مقهى البرازيلية التقينا بالشاعر بدر السّياب وتبادلنا التحية ثم ذهب السّياب مسرعاً وكان كعادته يحمل كتاباً مع بعض الأوراق. وفي اليوم التالي سألني بدر: منذ متى تعرفت على البياتي وهل هو حقاً من المنطقة الشمالية للعراق وليس من بغداد؟ فأجبته: إني عرفت عبد الوهاب منذ كنا صغاراً في المدرسة الابتدائية وكان صديقاً لأخي الصغير الذي كان يدرس في مدرسة الشيخ رفيع في باب الشيخ، أما أنا فكنت في مدرسة العوينة التي تقع قرب دكان والده في منطقة سراج الدين وكان ينتظرني عند خروجي من المدرسة. وقد لاحظت أن البياتي كان من المولعين بكتابة الشعر منذ عهد الطفولة، فقد أخرج ذات يوم قصاصة من الورق وطلب مني أن أقرأها فإذا هي عبارة عن بيتين من الشعر في الغزل.. ولما كنت أهوى الموسيقى والغناء منذ العاشرة من العمر فقد لحنت ذلك الشعر وغنيته بصوتي ونحن في طريقنا إلى البيت.. كان ذلك نحو عام ١٩٣٧ واكتفى السّياب عندما سمع ذلك بالقول: كلنا بدأنا في قرض الشعر منذ عهد الطفولة الأولى. أعتقد أن صحة الشاعر بدر السّياب بدأت تتدهور في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته القصيرة. تقول بعض المصادر إنه زار بيروت عام ١٩٦٠ وهناك طبع أحد دواوينه الشعرية وزار بعض المجلات الأدبية مثل مجلة الآداب وحوار وشعر.. ولا شك في أنه التقى ببعض الأدباء والشعراء في لبنان.. كما أنه لا بد من أنه كان يراجع بعض الأطباء لمعرفة سر مرضه والعلاج الذي قد يساعده على الحياة البائسة التي كان يحياها.. واستمر في كتابة الشعر الذي كان هاجسه الأول آناء الليل وأطراف النهار.

إن الشاعر بدر شاكر السّياب المرهف الإحساس مات فقيراً معدماً في المستشفى الأميري في دولة الكويت التي قامت برعايته وأنفقت عليه خلال مدة علاجه.. وعاد جثمانه إلى قرية (جيكور) في البصرة في يوم من أيام الشتاء الباردة الممطرة. وقد شيعه عدد قليل من أهله وأبناء جلدته وبذلك انطفأت شعلة الإبداع.. و سكنت آلامه إلى الأبد.

السياب مع عبد الوهاب الشيخلي

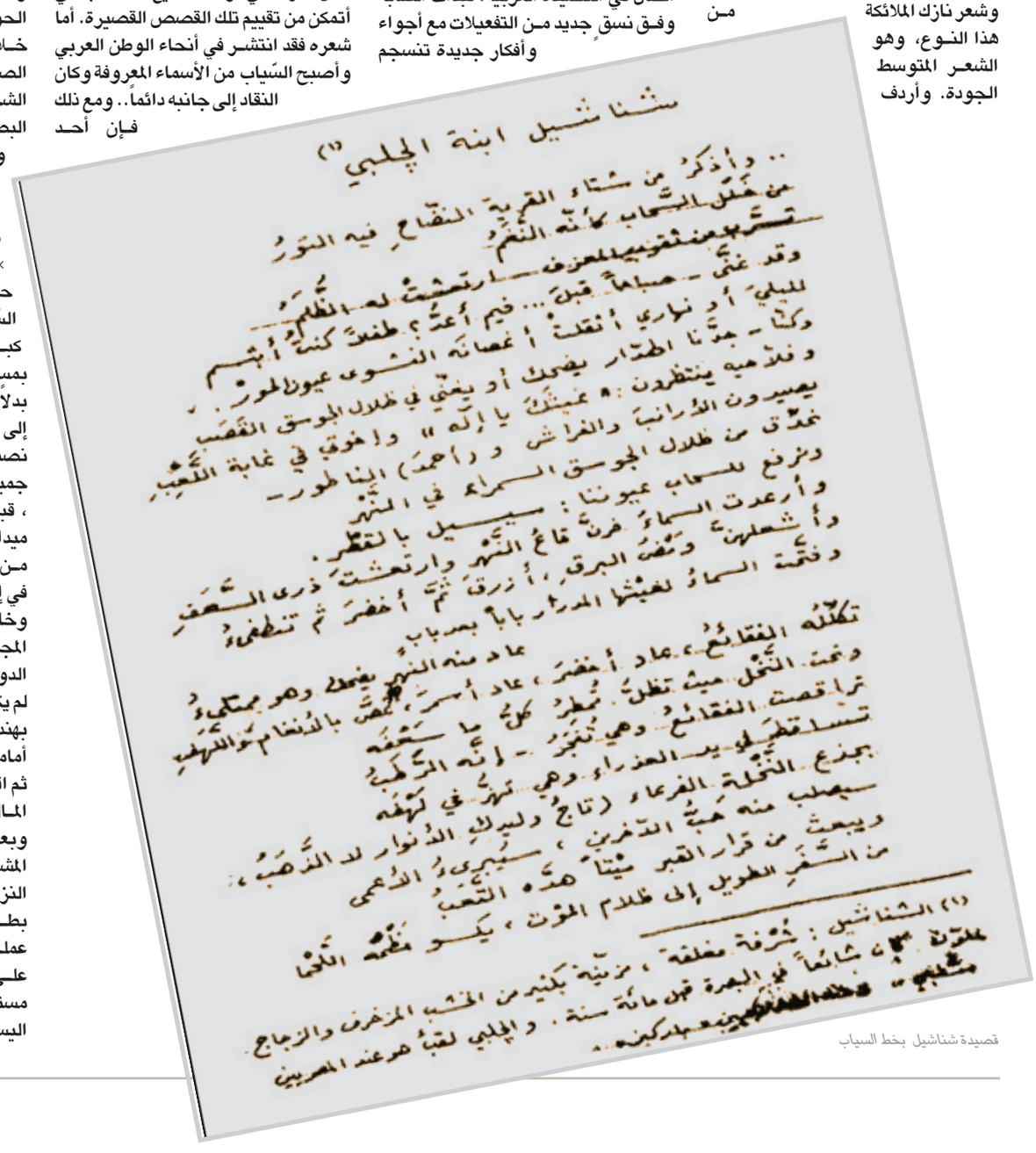

قصيدة شناشيل بخط السياب

سياب القراءة الجديدة : الشعر من المعترك التاريخي إلى المعترك الداخلي

فوزي كريم

عزلة السياب عن المعترك الأيديولوجي الصاخب في محيطه العراقي والعربي كانت عزلة «شعرية» عميقة غير ظاهرة. الشعر، وليد المعترك الداخلي، لم يترك للسياب فرصة الخوض في المعترك الخارجي إلا في الظاهر، بسبب ضعف شخصيته، وانعدام إرادته، وسهولة مكسره، ومحدودية ثقافته أيضاً. ولذلك فإن كل انتماءات السياب، وحماساته الأيديولوجية، هوائية، وقشرية، ووليدة استجابة لا يد له عليها رغم كل المسحة الجدية التي منحها لها النقاد لأنهم يرون الشاعر، ببساطة، عبوة أفكار ومواقف مسؤولة، وملتزمة، لا عبوة مشاعر والتباسات ناسفة.

كان السياب ماركسياً حيناً، وقومياً عربياً حينا آخر، بسبب ضعفه وبسبب الضغوط القاسية واللا إنسانية من محيطه الثقافي. كان يجب عليه أن يتقبل من المحيط الأقوى الهوية المفترضة. وهل يمكن أن يواصل شاعر وأديب منذ الخمسينات كونه شاعراً وأديباً من دون هوية ؟ ماركسية السياب أعطته موقعاً ممتازاً. ثم حقق امتيازاً أكثر حين صار قوميا عربياً، وأخطر حين توهمه البعض في رحاب القومية السورية. ولذلك أعتقد أن فهم شاعرية السياب لم يحن زمانه بعد تماماً. حين تلغى الهوية ويتلاشى شاعر القضية سيضع الفضاء المفتوح كل شاعر في مكانه الذي يستحقه.

شعر السياب ذهب، بفعل عزلته العميقة غير الظاهرة، بعيدا باتجاه الانسان العراقي كإنسان. باتجاه الانسان عاريا من الانتساب الوطني، القومي، الأممي أو الطبقي. يمكن بالتأكيد لإنسانه أن يظل عراقيا وعربيا وطبقيا.. ولكن كخصيصة إنسانية، لا تشكل «النموذج الذهني الأمثل» للوطني، القومي، الأممي، والطبقي، الذي فرضته المشاعر العقائدية، والذي ألفناه في قصائد الملتزمين من أبناء جيله والأجيال اللاحقة.

بهذا المعنى سيقرأ الناس والنقاد السيابَ بطريقة جد مختلفة، طريقة أكثر صحية ووفاءً، لا لشعره وحده، بل للشعر جملةً. سيقرؤون «أنشودة المطر» عارية من المعاني التي فرضت عليها بفعل هيمنة «الالتزام بالمعاني الوطنية والاجتماعية» في الستينات والسبعينات. سيُفهم الجوع العراقي، والحزن العراقي الذي يبعثه المطر، ونشيد المهاجرين: مطر، مطر، مطر...» بصورة أعمق من المعنى الظاهر النفعي الذي فرضته الذائقة الملتزمة. والتي لا تقرأ الشعر إلا كمادة تؤكد مصداقية الأفكار الملتزمة.

الرائع أن السياب سيبقى في ذاكرتنا مجتمعاً، من دون استثناء في قصائده. الحكمة من ذلك أن الشاعر الذي ينصرف للإنسان، ولمعتركه الداخلي. لا المعترك الخارجي. يبقى شاعراً حتى في أسوأ قصائده. للسياب قصائد ضعيفة. يعرف ذلك من قرأ :

«وما من عادتي نكران ماضيّ الذي كانا
ولكن كل من أحببتُ قبلك ما أحبوني»

فيض من الميوعة والمباشرة. ولكنه فيض شعري على كل حال، يشف عن ميوعة ومباشرة إنسان منقاد من داخله (لا من خارجه!)، حتى في أضعف لحظاته العقلية والروحية. عدد من شعراء جيله والتالين عليهم سيخلفون قصائد يمكن لقراءتنا الجديدة ان تفرز منها الشعر وتهمل ما تجده دخيلا على الشعر، لأنه لا يقود الى داخل إنساني مهما كان ضعفه والتباسه. بل يقود الى استجابة مملاة من الخارج. مع السياب لن يحدث ذلك، لأن أضعف قصائده هي وليدة داخل إنساني فريد الهوية، وحي. هذه الفرادة ولدت من لحم، ودم، وروح، وعقل، وتطلعات، وانكسارات، وقوة، وضعف، وكلية، ومحدودية الانسان، الذي هو السياب الشاعر. وما من ثمرة أو زبدة، تُقطف من هذه التجربة الشعرية، يمكن أن تُختزل بكلمة، أو فكرة، أو قيمة.

الكلمات في تجربة الشاعر، الذي ينصرف للمعترك الداخلي، تنطوي في كل صيغها على معنى الفعل لا الاسم. والأسماء، كما يرى عالم النفس أريك فروم، هي الرموز المناسبة للأشياء التي تشجع على التملك، بينما الأفعال هي الرموز المناسبة للنشاط والفعل، الذي يشجع على الكينونة. ولنقرأ هذا في قصائد السياب، ولننتخب موضوعة «الموت» الطاغية في تجربته الشعرية. هناك إقبال واضح على كلمة «الموت» في الشعر العربي، قديمه وحديثه بصورة خاصة. هذا الإقبال على مفردة الموت يخفي، بفعل السيادة اللفظية، دافعاً سايكولوجيا يتنافى مع مهمة الشعر، لأنه يعزز التزوير. هذا الدافع السايكولوجي يكمن في الرغبة اللا واعية لاستخدام مفردة «الموت» كرقية لاتقاء شر الموت. اللعب على الاسم لاتقاء شر المسمى. السياب لم يفكر بالموت بل استشعره، وعاشه. وهو لم يكتب عنه، بل كتب فيه، ومن خلاله. والنقاد لا يحسنون إدراك ذلك لكي يكتبوا عن «موت السياب» في شعره، بل هم يفضلون دائما الكتابة حول «الموت عند السياب». لأنهم اعتادوا، بفعل العرف الشكلي والحذر من الانفراد بالهوية الداخلية، على التعامل مع مفاهيم وأفكار مستقلة وقائمة خارج الشاعر. يمكن تلمس هذا أكثر إذا ما قارنا تعامل شاعر مثل أدونيس مع الذاكرة، وتعامل شاعر مثل السياب. الأول يستعيد ذكرى شخوص تاريخية «كقناع» فني، كما تحلو للنقاد التسمية، أو يستعيد المدن العربية الكبرى (بيروت، القاهرة، صنعاء...) فيؤرخ لها «داخلياً»، كما يحلو للشاعر والنقاد التسمية. ولكن هذه الاستعادة في حقيقتها لا تعدو استعادة ذاكرة عقلية، ونفعية، عمادها المنطق، حتى في العلاقة بين الأضداد والمتناقضات. والذاكرة، وخاصة الشعرية، يتلاشى فيها العقل والمنطق. قاهرة أدونيس هي القاهرة المدينة ولكن أعاد بناءها بكلمات واستعارات وعناصر مخيلة قدمت كل ما من شأنه أن يقنع القارئ بأن أدونيس ليس إلا مؤرخ من طراز فني. جيكور أو بويب السياب تحولا في لحظات استعادتهما من قبل الشاعر الى مدينة ونهر لا ينتسبان للزمان التاريخي الظاهر، بل لزمان السياب الداخلي. الزمان الخالد. تماما كما تخلق الأساطير في مخيلة الشعوب. سياب القراءة الجديدة سيستعيد مكان الريادة، لا كمجدد في حقل الرطانة الشكلية غير المثمرة، رطانة محدثي المصطلح المترجم وحقل المعترك التاريخي، بل كمجدد في حقل إعادة الشعر الى حرمة المعترك الداخلي.

شعر السياب ذهب، بفعل عزلته العميقة غير الظاهرة، بعيدا باتجاه الانسان العراقي كإنسان. باتجاه الانسان عاريا من الانتساب الوطني، القومي، الأممي أو الطبقي. يمكن بالتأكيد لإنسانه أن يظل عراقيا وعربيا وطبقيا.. ولكن كخصيصة إنسانية، لا تشكل «النموذج الذهني الأمثل» للوطني، القومي، الأممي، والطبقي، الذي فرضته المشاعر العقائدية، والذي ألفناه في قصائد الملتزمين من أبناء جيله والأجيال اللاحقة.
بهذا المعنى سيقرأ الناس والنقاد السيابَ بطريقة جد مختلفة، طريقة أكثر صحية ووفاءً، لا لشعره وحده، بل للشعر جملةً. سيقرؤون «أنشودة المطر» عارية من المعاني التي فرضت عليها بفعل هيمنة «الالتزام بالمعاني الوطنية والاجتماعية» في الستينات والسبعينات